المقالة الثالثة عشرة
فى قوله سبحانه : ﴿قد تبيّن الرشد من الغى﴾

و فيه رشحات :

[الرشحة]الأولى
فى اللغة

يقال : «بان الشىء» و «استبان» و «تبيّن» ، إذا ظهر و وضح ، و منه المثل : «قد تبيّن الصبح لذى عينين» .

قال بعض العلماء : «عندى أنّ الايضاح و التعريف إنّما سمّى بياناً ؛ لأنّه يوقع الفصل و البينونة بين المقصود و غيره» .[1]

و الرشد فى اللغة معناه اصابة الخير ، و فيه لغتان : رَشَد يرشد رشداً ، و الرشاد مصدر ايضاً كالرشد .

و الغي نقيض الرشد ، يقال : غوى يغوى غيّاً و غواية : إذا سلك غير طريق الرشد .

---

۱ . تفسير الرازى ، ج۷ ، ص۱۶

الرشحة الثانية
فی انتظامه بماسبق

لمّا ذکر الدین و أنّه لایحصل بالاکراه شرع فی شرح ماهیّته و قال : ﴿قد تبیّن الرشد من الغی﴾أی : وضح و انکشف ممّا ذکر سابقاً من شواهد المعرفة أنّ الدین الحقیقی الذی هو سلوک سبیل الله و قطع المنازل و المراحل التی بین العبد و مولاه المسمّی بالرشد و الهدی من الضلال الحقیقی الذی هو سلوک سبیل الشیطان و الهوی و هو المسمّی بالغوایة و الغی .

و وجه هذا التبیّن و الانکشاف أنّ طریق الحق لیس إلّا واحداً، و طرق أهل الضلال و إن کانت مختلفة متکثّرة لایمکن احصائها ، لکن إذا عرف هذا الواحد و انکشف لدی العارف البصیر بالصیرة الباطنة أنّه طریق الحق یتبیّن و یتحقّق أنّ ما سواه طریق الضلال .

فجمیع طرق الضلال یعرف بمجرّد معرفة طریق الحق ، إذ یصدق علی کلّ منها أنّه غیر الحق و ماذا بعد الحق إلّا الضلال . و لهذا ورد عن النبیﷺ : «ستفرق أمّتی علی ثلاث و سبعین فرقة و الناجیة منها واحدة» .[1]

و هذا العدد المعیّن لماسوی الفرقة الناجیة إنّما هو بحسب الأجناس الکلیّة ، و إلّا فهی بحسب الخصوصیّات فغیر محصورة کما مرّ ، و مع هذا من عرف طریق النجاة یعلم أنّ غیره طریق الهلاک .

الرشحة الثالثة
فی تحقیق معنی «التبیّن» فی هذا المقام

اعلم أنّ معنی ﴿تبیّن الرشد من الغی﴾ ، تمیّز الحق من الباطل ، و الایمان من الکفر بحسب الواقع و بما یلزم من الحجج و البیّنات الدالّة و البراهین الواضحة عند من نظر و تدبّر فی تلک الأدلة و البراهین ، لا أنّ کلّ مکلّف تنبّه به ، لأنّ ذلک خلاف ما هو المعلوم من حال أکثرهم ، لأنّهم إمّا جهّال محضة و إمّا مقلّدون . و المقلّد کالجاهل فی عدم کونه عارفاً بصیراً ، و یمتاز عنه فی کونه معتقداً ، و درجة المعرفة فوق الاعتقاد ، لأنّها ممّا یحصل معها الانشراح الباطنی و المشاهدة المعنویّة دون اعتقاد المقلّد ، إذ لا انشراح و لا اطمینان معه للقلب ، و إنّما الفائدة فیه مجرّد الاتّباع للقائد العارف فی صورة الأعمال الشرعیّة و

١ . بحارالأنوار ، ج٣٦، ص٣٣۶ ، ح١٩٨ ؛ عمدة القاری ، ج١٨ ، ص٢٢۴

الأوضاع الدينيّة، الموجبة لرياضة القوى البدنيّة، و تطويع النفس الأمّارة لئلّا تصول على النفس المطمئنّة.

و بذلک يحصل للنفس الانسانى الامتياز عن سائر النفوس الحيوانيّة التى لامعاد لها فى الاخرة، و عن النفوس الشقيّة المتمرّدة عن طاعة الشريعة التى لها العقوبة الأخرويّة، و ذلک لأنّ الاقتداء بأهل الكمال ـ و لو فى صورة الأعمال ـ مع خلوّ النفس عن رذائل الأوصاف و قبائح الأعمال، و سذاجة القلب عمّا يضاد و نيل الرحمة من المبدأ الفعّال مع صدق النيّة و صفاء الطويّة يوجب أن ينال المقتدى نصيباً من السعادة الأخرويّة و اللذّات الآجليّة التى للعارفين و أن يتنوّر ذاته بنور المتابعة لهم و الانخراط فى سلكهم، و الاستسعاد بسعادتهم على نهج التبعيّة و العرض ـ لا على وجه الاستقلال، إذ السعادة الحقيقيّة منوطة بالمعرفة الحقيقيّة، بل هى عينها، فحيث لا استقلال فى المعرفة لا استقلال فى السعادة، و لكن بحسب من تشبّه بقوم فهو منهم[1] كان للمتشبّه بأهل الكمال بقدر تشبّهه بهم ضرباً من السعادة فى المآل.

و الله الهادى الى طريق الصواب و به الاستعاذة من الضلالة و الغواية فى سبيل الاخرة و المآب.